أتابكية سنجار ودورها السياسي في المنطقة

الفصل الخامس

٥٦٦ - ٦١٧هـ / ١١٧٠ - ١٢٢٠م

علاء محمود خليل قداوي

كلية الهندسة / جامعة الموصل

المقدمة :

لعبت بلاد الجزيرة الفراتية دوراً مهماً على مسرح الاحداث في التأريخ العربي الاسلامي منذ مطلع القرن الاول الهجري، نظراً لاهميتها من الناحية السياسية والاقتصادية والجغرافية، وازدادت هذه الاهمية بعد ضعف الدولة السلجوقية ، وقيام دويلات عديدة فيها تمثلت بأتابكيات الجزيرة والشام .

ومن هذه الاتابكيات اتابكية سنجار التي كانت طرفاً في الصراع السياسي بين دول منطقة الجزيرة الفراتية والشام بحكم موقعها الجغرافي بين الموصل والشام واهميتها الاقتصادية والبشرية. وقدمت اسهامات سياسية وعسكرية لصلاح الدين الايوبي في جهوده لتحقيق الوحدة من خلال وقوفها الى جانبه في اغلب الاحيان ضد القوى المعادية له ، كما انها قامت بجهد عسكري مشرف في التصدي للغزاة الافرنج الى جانب القوى العربية الاخرى.

تناولت هذه الدراسة الموضوعات التالية :ـ

أولاً ـ سنجار قبل العهد الاتابكي

ثانياً ـ ظهور اتابكية سنجار (ونشاطها السياسي والعسكري)

١ ــ دور سنجار في النزاع بين سيف الدين غازي وصلاح الدين الايوبي

٢ ــ التنافس بين عماد الدين زنكي صاحب سنجار وعز الدين مسعود صاحب الموصل على حلب وموقف صلاح الدين الايوبي منهم .

٣ ــ دور سنجار في التصدي لغزو الافرنج على بلاد الشام .

٤ ــ النزاع بين قطب الدين محمد صاحب سنجار ونور الدين أرسلان صاحب الموصل وموقف الملك العادل منهم .

٥ ــ دور الملك العادل في انهاء التحالف بين قطب الدين محمد ونورالدين ارسلان سنة ٦٠٠هـ

٦ ــ مساهمة عساكر سنجار في الجهاد ضد الافرنج مع الملك العادل الايوبي.

٧ ــ اتفاق نور الدين ارسلان والملك العادل على اقتسام سنجار سنة ٦٠٦هـ

ثالثاً ــ نهاية حكم اسرة زنكي في سنجار .

أولا ــ سنجار قبل العهد الاتابكي :

سنجار مدينة تقع في وسط برية ديار ربيعة من بلاد الجزيرة الفراتية بقرب جبل ينسب اليها ويقع الى الشمال منها (١) وللمدينة موقع جغرافي مهم جعل منها حلقة وصل بين بلاد الشام والموصل، وكثيراً ماكانت تتعرض للغزو والسيطرة خلال تقدم القوات من الموصل نحو الشام أو العكس ،لذا كانت سنجار محط انظار الروم والفرس على حد سواء، وكانت قبل فتحها من قبل العرب المسلمين خاضعة لنفوذ الروم. وحدث اثناء الفتح العربي الاسلامي لمنطقة الجزيرة الفراتية ان تعرضت سنجار للغزو من قبل الفرس في عهد كسرى المعروف بأبرويز الذي كان قد أرسل قوة من جنده لاحتلالها ، وتمكن هؤلاء من دخولها والتحصن فيها (٢) .

وعندما فرغ العرب المسلمون بقيادة عياض بن غنم من فتح شمال الجزيرة الفراتية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) توجه بقواته لإستكمال فتح باقي مناطق الجزيرة

(١) ابن حوقل ،ابو القاسم : صورة الارض: ١٩٩ منشورات مكتبة الحياة، بيروت . أبو الفداء، عماد الدين أسماعيل: تقويم البلدان :٢٨٣، باريس ١٨٤٠م .

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان: ق١/٢١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،١٩٥٦م.

فبعث جزءاً من قواته نحو سنجار ،وتمكنت هذه القوة من فتحها وطرد الفرس منها ، واسكن عياض فيها قوماً من العرب ، والحق تبعيتها الادارية لإقليم ديار ربيعة والموصل(١)

وفي بداية القرن الرابع الهجري تمكن الحمدانيون من تأسيس امارة في الموصل (٢) توسعت حدودها حتى شملت مدن اخرى في اقليم الجزيرة ومنها سنجار اذ تمكن اميرهم حمدان بن ناصر الدولة من ضمها الى امارته سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م (٣)

بقيت سنجار تابعة لحكم الحمدانيين ومن بعدهم العقيليين ، حتى تمكن السلاجقة على يد قوام الدولة ابي سعيد كربوقا السلجوقي من انهاء نفوذ بني عقيل عن الموصل والجزيرة سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م (٤) . اما عن تبعية سنجار الادارية بعد زوال حكم بني عقيل عنها ، فإنها بقيت خاضعة للموصل حتى سنة ٥٠٢هـ ، اذ تمرد صاحب سنجار في هذه السنة على جاولي سقاوو صاحب الموصل ، فماكان من الاخير الاأن حاصرها مدة فلم يتمكن من فتحها ، فطلب من صاحبها الصلح ، فلم يجبه ، فإنصرف عنها (٥)وبإنصرافه عنها انهت سنجار تبعيتها للموصل وتولى حكمها امراء محليون منهم تمريك الذي استمر حكمه لها حتى تمكن اق سنقر البرسقي صاحب الموصل سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م من انتزاع سنجار من تمريك وضمها للموصل (٦)

بقي أق سنقر يحكم الموصل وسنجار الى ان قتل في الموصل سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م فتولى ابنه عزالدين مسعود حكم هذه البلاد حتى وفاته سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م ، فإنتقل الحكم بعده الى عماد الدين زنكي بن أق سنقر البرسقي مؤسس دولة الاتابكة في الموصل(٧)

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ق١/ ٢١٠، ابن شداد، عزالدين محمد بن علي: الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة :ف١ حـ٣/ ١٥٤ ،تحقيق يحيى عبارة، دمشق، ١٩٧٨م .

(٢) زامباور: معجم الانساب والاسرات الحاكمة: ٢٠١، أخرجه زكي محمد وآخرون دار الرائد العربي ، بيروت.

(٣) أبن الاثير، أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد: الكامل في التأريخ : ٧/٣٣دار الفكر بيروت، ١٩٧٨م

(٤) ابن الاثير الكامل: ٧/١٥٧، ٨/١٣٧، ١٨٠

(٥) ابن الاثير : الكامل: ٨/ ٢٥٣

(٦) ابن الاثير: التأريخ الباهر في الدولة الاتابكية: ٢٤، ٣١-٣٢، تحقيق عبد القادر طليمات ،دار الكتب القاهرة أبن شداد :الاعلاق الخطيرة: ق١ حـ٣/ ١٦٥

(٧) أبن الاثير الباهر: ٢٤، ٣١-٣٢. أبن العبري، غريغوريوس الملطي : تأريخ مختصر الدول: ٢٠٢- ٢٠٣ ،بيروت ١٩٥٨م

شرع عماد الدين زنكي بعد ان استقر مقامه بالموصل في حشد الطاقات وتوحيد القوى للوقوف بوجه التحدي الافرنجي الذي كان قد تزايد في تلك الفترة، لذلك وجه اهتمامه نحو المدن المجاورة التي تمردت على حكمه لها لاخضاعها لسيطرته كي لاتشغله عن مجابهة الافرنج في بلاد الشام، فضلا عن الإستعانة بطاقاتها البشرية والاقتصادية في هذه المجابهة، فبدأ بجزيرة ابن عمر وضمها اليه، ثم اخضع نصيبين، وتقدم بعد ذلك نحو سنجار، فإمتنع اهلها عليه مدة ثم صالحوه وسلموا المدينة اليه ثم ضم الخابور وحران سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م بعد ذلك وجه اهتمامه نحو بلاد الشام فملك حلب سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م وحماه سنة ٥٢٣هـ وحمص وبعلبك وبعض المدن الاخرى فيها سنة ٥٣٤هـ لتكون نواة لدولته الجديدة (١) .

ساهمت سنجار بدور فاعل في تمكين عماد الدين من تنفيذ سياسته في مجابهة الافرنج وضرب القوى التي تقف في طريق تحقيق هدفه، فكانت تغذي عسكره بالجند وبالمؤن والمعدات، خاصة المواد الغذائية، نظراً لوفرة انتاجها الزراعي والاعلاف (٢)

فضلا عن موقعها الجغرافي المهم الذي اتاح لعماد الدين ان يتخذها قاعدة متقدمة لعسكره لينطلق منها لضرب قوى الافرنج في بلاد الجزيرة ومنها امارة الرها التي تمكن عماد الدين من الاستيلاء عليها سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م وهي اول ثغرة نفذ منها العرب المسلمون الى غيرها من القلاع والمدن العربية التي كانت تحت سيطرة الافرنج . (٣)

لم يكتف عماد الدين بفتح الرها بل عول على انتزاع اعمالها فسار الى سروج وتمكن من فتحها، وفي سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م واثناء حصاره لقلعة جعبر قتل فجأة على يد أحد مماليكه ويسمى برنقش الخادم . وبمقتله انقسمت دولته بين ولديه سيف الدين غازي الذي حكم الموصل واعمالها وبضمنها سنجار ، ونور الدين محمود الذي حكم حلب (٤) .

---

(١) ابن الاثير : الكامل: ٨/ ٣٢٤-٣٢٥. الباهر ٣٨. أبن واصل، جمال الدين محمد بن سالم :مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: ١/٣٤-٣٦ تحقيق جمال الدين الشيال ، مصر ١٩٥٣م.

(٢) أبن شداد: الاعلاق الخطيرة: ق١ ج٣/ ١٥٥

(٣) البنداري، الفتح بن علي : تأريخ دولة ال سلجوق: ١٨٧، ط٢، دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٧٨م. حبشي ، حسن: نور الدين والصليبيين: ٣٧-٣٨، القاهرة ١٩٦٨م .

(٤) ابن الاثير :الكامل ٩/ ٩ . البنداري: تأريخ دولة ال سلجوق: ١٨٦ - ١٨٧ . الكتبي محمد بن شاكر : عيون التواريخ :١٢/ ٣٨٥، ٤٠٧، تحقيق فيصل السامر دار الحرية بغداد ١٩٧٧م .

وأول عمل قام به سيف الدين بخصوص سنجار هو نقل خزائن الموصل اليهـا ليحفظها فيها نظراً لمناعة قلعتها ، وولاء اهلها له، كما انه عزل واليها يلمان ، وعين بـدلا منه المقدم شمس الدين محمد عبد الملك الديلمي (١) .

أظهر والي سنجار المقدم شمس الدين الرغبة في انضمام سنجار الى حلب ، بعد وفاة سيف الدين وتولي أخيه قطب الدين مودود حكم الموصل ، نظراً لما كان يكنه شمس الدين من مودة لنور الدين صاحب حلب لكونه أكبر سناً من أخيه قطب الدين ، فضـلا عن رغبة الوالي في ان يستحوذ على شيء من خزائن الموصل الموجودة في سنجار لقاء تسليم سنجار لنور الدين ، لذلك كاتب شمس الدين نور الدين يستدعيه للاستيلاء علـى سنجار ، وانتزاعها من صاحب الموصل (٢) .

لقي مطلب والي سنجار استجابة لدى نور الدين ، الذي كان يتطلع لضم سنجار اليه ليتخذها قاعدة لعساكره بحكم موقعها بين حلب والموصل ، والاستفادة منها في تسهيل مهمة تنقل عساكره بين حلب وبلاد الجزيرة، ورغبة منه في استغلال مواردها الاقتصادية ومافيها من اموال وذخائر لينفقها في حروبه ضد الافرنج (٣) .

أثار تسلم نور الدين سنجار حفيظة اخيه قطب الدين صاحب الموصل الذي عد عمل نور الدين اعتداءاً مباشراً على املاكه ،باعتبار سنجار من اعماله ،لذلك تجهز قطـب وخرج بعساكره نحو سنجار وعند وصوله تلعفر ، ارسل نور الدين يتهدده ويتوعـده ان لم يرحل عن سنجار (٤) .

استعد نور الدين للمواجهة ،وادرك قطب الدين انه ان يستطيع انتزاع سنجار منه لميل عسكر قطب الدين الى جانبه . ويبدو ان قطب الدين ادرك هذه الحقيقة ، لذلك خـاف عاقبة الامر فأرسل الى اخيه في طلب الصلح ، فأجابه ، وتقرر الصلح الذي تضمن تنازل قطب الدين عن حمص والرحبة والرقة لنور الدين مقابل اعادة سنجار له ، وبذلك تحسنت العلاقة بين الأخوين .

---

(١) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: ق١ ج٣/ ١٦٧- ١٦٨

(٢) ابن الاثير الكامل: ٩/ ٢٤. الباهر ٩٥ ، ٩٨. ابن شداد : الاعلاق الخطيـرة : ق١ج٣/ ١٦٩

(٣) التكريتي محمود ياسين: الايوبيون في شمال الشام والجزيرة: ٤٩ دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨١ م.

(٤) ابن الاثير : الباهر : ٩٦. أبن العديم، كمال الدين ابو القاسم: زبدة الحلب من تـأريـخ حلب: ٢/٢٨٩، تحقيق سامي الدهان ،دمشق ١٩٥٤م

ثانياً- ظهور اتابكية سنجار (ونشاطها السياسي والعسكري) :-

في شوال سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م توفي قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل، وكان قد أوصى بالملك بعده لولده عماد الدين زنكي وهو أكبر أولاده« واعزهم عليه واحبهم اليه» ،الا أن نائبه فخر الدين عبد المسيح الذي كان يكره عماد الدين ،لانه كان قد أكثر المقام عند عمه نور الدين محمود صاحب حلب وخدمه وتزوج ابنته ، وكان نور الدين يبغض فخر الدين لظلم فيه،ويذمه ويلوم أخاه قطب الدين على توليته الامور، فخاف فخر الدين ان يتصرف عماد الدين في أمور الحكم بأمر عمه نور الدين ، فيعزله ويبعده عن منصبه ،لذلك أتفق فخر الدين مع زوجة قطب الدين على عدم تمكين عماد الدين في ملك ابيه،وتمكنا من طرده ، وتعيين أخيه سيف الدين بن قطب الدين مكانه(١) .

لم يستسلم عماد الدين لهذا الامر ،فرحل الى عمه نور الدين شاكياً له ومستنصراً به ليعينه على أخذ الملك لنفسه بأعتباره أحق بالولاية من أخيه سيف الدين . فلبى نور الدين نداءه وقال «أنا أولى بتدبير بني أخي وملكهم.» (٢) لذلك اسرع نور الدين بما اجتمع معه من عساكر وعبر الفرات في شهر محرم سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م وقصد املاك ابن أخيه سيف الدين بن قطب الدين وبعد أن تمكن من أخضاع اعمال ابن أخيه (٣) ، سار نحو الموصل ،وتمكن من دخولها، وأقر صاحبها سيف الدين على الموصل ، وعزل نائبه فخر الدين عبد المسيح وعين بدلا منه سعد الدين كمشتكين (٤) . اما سنجار فكان قد اخذها وهو في طريقه لحصار الموصل ، بعد ان حاصره واقام عليها المجانيق فإستسلمت له المدينة ،ودخلها واعطاها لابن اخيه عماد الدين زنكي الذي كان يرافقه ، وكان ذلك سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م وبذلك اصبحت سنجار امارة مستقلة عن اتابكية الموصل (٥) ، وهكذا خرجت سنجار من التبعية الادارية للموصل .

---

(١) ابن الاثير: الباهر: ١٤٦، ١٥٢. الكامل: ٩/ ١٠٧، أبن واصل : مفرج الكروب ١/ ١٨٨، ١٩٠/ ١٩١

(٢) ابن الاثير: الباهر: ١٥٢، أبن الوردي، زين الدين عمر: تأريخ أبن الوردي ٢/ ١١١ النجف ١٩٦٩ م .

(٣) ابن الاثير: الباهر: ١٥٢. ابن واصل، مفرج الكروب: ١/ ١٩١- ١٩٣

(٤) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ١١٠. ابو شامة، شهاب الدين محمد عبد الرحمن : الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية: ١/ ١٨٨، دار ، الجليل بيروت .

(٥) ابن الاثير الباهر: ١٥٢. ابن العديم: زبدة الحلب: ٢/ ٣٣٢. زامباور: معجم الانساب: ٣٤١

دور سنجار في النزاع بين سيف الدين غازي وصلاح الدين الايوبي :-

شاب العلاقة بين عماد الدين زنكي صاحب سنجار واخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل الحذر ، اذ كان عماد الدين يتوجس خيفة من اطماع سيف الدين في ملكـــه ، خاصة بعد تمكن سيف الدين على أثر وفاة نور الدين سنة ٥٦٩هـ /١١٧٣م، من استعادة جميع البلاد التي كان نور الدين اخذها منه سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م (١) عدا سنجار .

وحدث عقب وفاة نور الدين ان تمكن صلاح الدين الذي كان نائباً لنور الدين فـي بلاد مصر ان يستولي على حمص وحماه وبعلبك (٢). عند ذاك تجلت الاخطار لصاحب حلب الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين الذي ارسل الى ابن عمه سيف الدين وفداً يطلب امداده بعسكر الموصل لمواجهة صلاح الدين الذي تقدم بعسكره نحو حلب (٣).

لم يتردد سيف الدين غازي في أغتنام هذه الفرصة لقصد حلب وضمها لملكه ، فبادر الى جمع عسكره، وارسل الى اخيه عماد الدين زنكي صاحب سنجار يطلب منه تجهيز عساكره والاجتماع به لقتال صلاح الدين. ولم يكن صلاح الدين قد فاته التفكير مقدماً بما ينوي عليه سيف الدين، فسبقه الى الاتصال بعماد الدين زنكي، والاتفاق معه علـى معارضة اخيه سيف الدين، واطمعه بتوسيع رقعة املاكه بأعتباره كبير البيت الاتابكي واحق من اخيه في حكم ممتلكات ال زنكي .

لاقت هذه الدعوة قبولا حسناً لدى عماد الدين الذي كان يعد نفسه الوارث الشـرعي لاتابكية الموصل بعد أبيه قطب الدين، واعلن امتناعه عن اجابة سيف الدين لمقـاتلـة صلاح الدين (٤) .

ازاء هذا الموقف المعادي له من جانب عماد الدين ، أضطر سيف الدين أن يوجه أخاه عز الدين مسعود على رأس جيش كبير الى حلب ، (٥) اما هو فقد سار بما تبقى من عسكره

---

(١) سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر يوسف: مرآة الزمان في تأريخ الاعيان : م٨ جـ١/ ٣٢٥، ط١، دائرة المعارف العثمانية، الدكن ١٩٥١م

(٢) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ١٣١-١٣٢. أبن شداد، بهاء الدين: سيرة صلاح الدين: ٥٠ تحقيق جمال الدين الشيال، ط١، القاهرة ١٩٦٢م.

(٣) ابو شامة: الروضتين: ١/٢٤٩

(٤) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ١٣٣. الجميلي، رشيد: دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين: ١١٨، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥م.

(٥) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ١٣٣. ابن شداد: سيرة صلاح الدين: ٥٠

الى سنجار فحاصرها في رمضان سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م (١) واثناء حصاره لها وصلته أخبار انهزام عسكره على حلب امام جيش صلاح الدين، عند ذاك خشي ان تقوى عزيمة عماد الدين وجنده ، فبادر الى مصالحته ورفع الحصار عن سنجار ، بعد أن كان سقوطها قاب قوسين أو أدنى(٢) وبذلك يكون عماد الدين قد أسدى خدمة كبيرة لصلاح الدين عندما وقف بجانب صلاح الدين ضد سيف الدين، مما دفع الاخير الى شطر جيشه في مجموعتين لمواجهة الطرفين الامر الذي مكن صلاح الدين من الحاق الهزيمة بعسكر الموصل في حلب . ومما تجدر الاشارة اليه اننا لانجد في المصادر المتوفرة لدينا مايشير الى قيام صلاح الدين بمكافأة عماد الدين بتوسيع املاكه لقاء وقوفه الى جانبه ويعزى ذلك الى ان صلاح الدين لم يستغل انتصاره على عسكر الموصل على حلب في الاستيلاء على أعمال الموصل لكي يكافيء بها صاحب سنجار .

التنافس بين عماد الدين زنكي صاحب سنجار وعزالدين مسعود صاحب الموصل على حلب وموقف صلاح الدين الايوبي منهم :-

في ٣ صفر سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م توفي سيف غازي صاحب الموصل ، وكان قد عهد بملكه الى اخيه عز الدين مسعود لما اتصف به من شجاعة وتعقل (٣).

وحدث في السنة الاولى من حكمه ان اوصى الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين صاحب حلب تسليم حلب بعد وفاته الى ابن عمه عزالدين مسعود ، واستحلف امراءه واجناده على ذلك (٤) .

وبموجب هذه الوصية تسلم عزالدين حلب ،بعد وفاة الملك الصالح اسماعيل سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م (٥)

لقي خبر تسلم عز الدين حلب الاستياء من عماد الدين زنكي صاحب سنجار الذي رأى أنه أولى من أخيه عز الدين في ملكها ،لذلك ارسل الى عز الدين يطلب منه ان يعطيه حلب ويأخذ سنجار بدلا منها ،فرفض عز الدين هذا الطلب ، فما كان من عماد الدين الا أن.

---

(١) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ١٣٣. ابن الوردي : تأريخ ابن الوردي : ١٢١/٢

(٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: م٨ج١/ ٣٣٢، أبن واصل: مفرج الكروب : ٣١/٢، ٣٧

(٣) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ١٥٠. ابن العبري: تأريخ مختصر الدول: ٢١٨

(٤) ابن الاثير : الباهر : ١٨٢. ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء: البداية والنهاية في التأريخ ١٢/ ٣٠٩ مطبعة السعادة ، مصر.

(٥) ابن كثير البداية والنهاية: ١٢/ ٣٠٩

هدد عز الدين بتسليم سنجار الى صلاح الدين ان لم يسلمه حلب (١) .

امام هذا التهديد استجاب عز الدين الى طلب عماد الدين لتخوفه من ان ينفذ عماد الدين الذي كان يميل الى صلاح الدين- تهديده ويسلم سنجار الى صلاح الدين فتصبح الموصل والجزيرة تحت حكمه .

وبناءاً على ذلك تسلم عماد الدين زنكي حلب مقابل أخذ عزالدين سنجار (٢) وهكذا عادت سنجار واصبحت ثانية مدينة تابعة لاتابكة الموصل .

أظهر صلاح الدين الايوبي الرغبة في ضم الموصل اليه ، بعد ان بلغه ان صاحبها عز الدين مسعود اتصل بالافرنج يحثهم على قتاله ويحرضهم على مهاجمة املاكه ليشغلوه عن قصد بلادهم (٣) لذلك قام بمحاولة الاستيلاء على الموصل ، واسقاط الحكم الاتابكي فيها ، فحاصرها في شهر رجب سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م الا انه لم يوفق في أخذها لمناعة اسوارها ، عندما قرر رفع الحصار ، مقتنعاً ان طريق اخذ الموصل يتم عن طريق أخذ قلاعها(٤) فتوجه نحو سنجار في ١٦ شعبان سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م لإنذها ، فنزل عليها وحاصرها امتنع متولي سنجار شرف الدين امير اميران هندو أخو عز الدين مسعود من تسليم سنجار الى صلاح الدين بالأمان ، فإضطر صلاح الدين التضيق عليها حتى تمكن من دخولها بعد ان ملك احد ابراجها ، فإضطر شرف الدين الى طلب الامان ، فأمنه صلاح الدين ورحله مع من معه الى الموصل (٥).

رتب صلاح الدين سنجار بعد فتحها حيث استناب بها سعد الدين بن معين الدين أنر وولى القضاء بها لنظام الدين بن المظفر محمد بن يعقوب ، واسقط ماكان بها من مكوس وضرائب غير شرعية (٦) .

---

(١) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ١٥٤. الغساني ، ابو العباس اسماعيل: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك: ١٨٢ تحقيق شاكر محمود، بغداد، ١٩٧٥م

(٢) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ١٥٤. ابن شداد: سيرة صلاح الدين: ٥٥-٥٦

(٣) ابن شاهنشاه، محمد بن تقي الدين مضمار الحقائق وسر الخلائق: ٩٦، تحقيق حسن حبشي القاهرة ١٩٦٨م

(٤) ابن شداد :سيرة صلاح الدين: ٥٧

(٥) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ١٥٨-١٥٩. ابن واصل: مفرج الكروب: ٢/ ١٢٣

(٦) ابوشامة الروضتين: ٢/٣٣. ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق: ١١١

اضحت سنجار مدينة تابعة لصلاح الدين حتى سنة ١١٨٣/٥٧٩م. اذ حدث في هذه السنة ان حاصر صلاح الدين حلب، وكانت لعماد الدين زنكي، ولم يكد صلاح الدين يحاصرها حتى ارتبك عماد الدين وارسل رسولا اليه لاقرار شروط الصلح بينهما، فتم ذلك ،وكانت شروط الصلح تقضي ان يتسلم صلاح الدين حلب من عماد الدين ،ويسلمه عوضاً عنها سنجار ونصيبين والرقة وسروج والخابور ،وان يباشر عماد الدين خدمة صلاح الدين متى دعاه لمقاتلة الغزاة الأفرنج (١) .

دور سنجار في التصدي لغزو الافرنج على بلاد الشام :-

كان من شروط الصلح الذي عقد بين عماد الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٩هـ - ١١٨٣م ان تعهد عمادالدين في المشاركة في الجهاد الذي قاده صلاح الدين ضد الأفرنج في بلاد الشام . وقد وفى عمادالدين بهذه الشروط ، وحضرت عساكره معظم الحروب التي وقعت للفترة مابين ٥٨٤ - ٥٨٦هـ/ ١١٨٧ - ١١٩٠م .

ففي اوائل سنة ٥٨٤هـ بلغ صلاح الدين الأيوبي وصول عساكر سنجار تحت قيادة صاحبها عمادالدين زنكي بقصد الجهاد . وكان اول عمل ساهمت فيه عساكر سنجار هو اشتراكها في فتح انطرطوس ، حيث رتب صلاح الدين جيشه ميمنة وميسرة وقلب، وكان على رأس الميمنة عمادالدين زنكي الذي لعب دوراً فعال في عملية فتح انطرطوس وتهديم سور المدينة وغنم العسكر جميع مابها ، كما شارك في فتح قلعة برزية ،وهي قلعة حصينة في غاية القوة والمنعة على سن جبل (٢) .

وساهمت عساكر سنجار في الدفاع عن عكا ، فاشتركت في معركة يوم الحادي والعشرين من شعبان سنة ٥٨٥هـ /١١٨٩م ، وكان مجاهدالدين يرنقش مقدم عساكر سنجار على رأس ميسرة عسكر صلاح الدين (٣) وتمكن ومن معه من عسكر المسلمين التصدي لعسكر الأفرنج ، وعلى الرغم من ان معركة يوم الحادي والعشرين من شعبان احدثت خسائر كبيرة بجيش المسلمين والأفرنج دون ان يتمكن احد الطرفين تحقيق الغلبة على الإخر ، فان خسائر ميسرة عسكر صلاح الدين التي كان فيها عسكر سنجار ، كانت قليلة قياسا لقلب الجيش وميمنته (٤) .

(١) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ١٦٢ ، ابن تغري بردى، ابو المحاسن يوسف : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٦/ ٢٩ مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) ابن شداد: سيرة صلاح الدين: ٨٨، ٩٢-٩٣. ابو الفداء: المختصرفي أخبار البشر: ٣/ ٧٤ المطبعة الحسينية المصرية. ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٩.

(٣) ابو شامة الروضتين: ٢/ ١٤٤

(٤) ابن شداد: سيرة صلاح الدين: ١٠٩-١١٥ ابوشامة: الروضتين: ٢/ ١٤٤- ١٤٨

وعندما بلغ صلاح‌الدين وهو على عكا ان فردريك بربروسا ملك المانيا يقود حملة صليبية مستهدفة بلاد الشام عن طريق القسطنطينية(١) ، اسرع في ارسال سفرائه الى بلاد الجزيرة الفراتية يطلب من ملوكها النجدة للتصدي لهذه الحملة ، وكان من جملة من ارسل اليهم يستدعيهم بعساكره صاحب سنجار عمادالدين زنكي الذي لبى هذه الدعوة ، وحضر عند صلاح الدين في الثاني والعشرين من ربيع الأخر سنة ٥٨٥هـ « بعسكر تام ولقيه السلطان بالاحترام والتعظيم ، ورتب له العسكر في لقائه فكان اول من لقيه قضاته وكتابه ، ثم لقبه اولاده بعد ذلك ، ثم لقيه السلطان ، ثم سار به حتى اوقفه على العدو وعاد معه الى خيمته وانزله عنده .. وقدم له من التحف واللطائف مالا يقدر عليه غيره ، وكان قد اكرمه بحيث طرح له طراحة مستقلة الى جانبه » (٢) .

واثنى المؤرخ بهاء الدين بن شداد (٣) على عساكر سنجار التي لعبت دوراً بارزاً في الأستبسال والدفاع عن عكا ، وكان صلاح الدين يثق ببسالة عمادالدين زنكي وجنده الذين كانوا « يقاتلون قتالا شديداً ويعطون الجهاد حقه » كما حدث ذلك في المعارك التي وقعت حول عكا للفترة من ١١ شوال لغاية ١٤ منه سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠ م حيث اوقع جند المسلمين بالغزاة الأفرنج خسائر فادحة .

وبعد معارك شوال قفل عمادالدين راجعاً الى بلاده باذن من صلاح‌الدين ، بعد ان كافأه صلاح‌الدين على مابذله من جهد ومشاركة في الجهاد ، فافاض عليه مع ابن اخيه سنجرشاه من التشريف والأنعام والتحف مالم ينعم به على غيرهما (٤) .

وبعد عودته لم يتخل عن مساعدة صلاح‌الدين في التصدي للافرنج على عكا ، اذ ارسل في جمادى الأخر سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م مقدم عساكره مجاهد الدين يرنقش على راس عساكر سنجار ، وبقي يرنقش مع صلاح الدين حتى سقوط عكا سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م (٥) وقد وفى عمادالدين بجميع التزاماته تجاه صلاح الدين والمسلمين في الجهاد ضد الأفرنج

---

(١) ابن شداد: سيرة صلاح الدين: ١١٥. ابو شامة: الروضتين: ٢/ ١٥٣

(٢) ربن شداد: سيرة صلاح الدين: ١٢١. ابوشامة: الروضتين: ٢/ ١٥٣

(٣) سيرة صلاح الدين: ١٤٧- ١٥٠

(٤) ابن شداد: سيرة صلاح الدين: ١٥٢

(٥) ابو شامة: الروضتين: ٢/ ١٨٦. ابن الفرات، ناصر الدين محمد: تأريخ ابن الفرات: م٤ ح٢/ ١١ دار الطباعة الحديثة، البصرة ١٩٦٩م

لذلك يقول عنه سبط ابن الجوزي (٥) بانه « كان عاقلا جواداً .. ولم يزل مع السلطان صلاح الدين في غزواته مجاهداً .. وكان السلطان يحترمه مثلما كان يحترمه نورالدين ويعطيه الأموال والهدايا والتحف الكثيرة » .

النزاع بين قطب الدين محمد صاحب سنجار ونور الدين ارسلان صاحب الموصل وموقف الملك العادل الايوبي منهما :-

توترت العلاقة بين نورالدين ارسلان شاه / الذي تولى حكم الموصل بعد وفاة والده عزالدين مسعود سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣ م — وعمه عمادالدين زنكي بسبب استيلاء نواب عماد الدين على نصيبين على بعض القرى من اعمال الموصل سنة ٥٩٤ / ١١٩٧م فما كان من نورالدين الا أن ارسل الى عماد الدين يهدده ويطلب منه استرجاع ماكان نوابه قد سيطروا عليه من املاكه (٢) .

لم يمتثل عماد الدين لهذا التهديد وكان جوابه لنورالدين بان نوابه لم يفعلوا الا بما امرهم به ، فأغاض هذا القول نورالدين وعزم على اخذ نصيبين التي كانت من اعمال سنجار رداً على ماقام به نواب عمادالدين ، واثناء تجهزه لذلك توفي عمادالدين زنكي في محرم سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م . (٣)

خلف عماد الدين على اتابكية سنجار ابنه قطب الدين محمد وقام بتدبير امور دولته مملوك ابيه مجاهد الدين يرنقش (٤) . وما ان سمع قطب‌الدين بعزم نورالدين على التوجه بعساكره الى نصيبين حتى اسرع في الخروج من سنجار والنزول بعساكره في ظاهر نصيبين ليمنع نورالدين عنها ، فلما وصلت قوات نورالدين اشتبك معها في معركة انتهت بهزيمة قطب‌الدين واستيلاء نورالدين على نصيبين. اتجه قطب الدين بعد هزيمته الى الملك العادل الأيوبي مستنجداً به على نورالدين لاعادة نصيبين له وبذل الأموال الكثيرة من اجل ذلك ولما بلغ نورالدين استجابة العادل لطلب قطب الدين ووصوله بعساكره الى جزيرة ابن عمر بادر نورالدين بالجلاء، عن نصيبين عائداً الى الموصل خوفاً من ان يلحق العادل بقواته الهزيمة فلما فارقها تسلمها قطب‌الدين محمد دون اي اشتباك (٥) .

---

(١) مرآة الزمان: م٨-٢/ ٤٥٧

(٢) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ٢٤٠

(٣) ابن الاثير: الكامل٩/ ٢٤٠. الفسائي: العسجد المسبوك: ٢٤٤

(٤) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: ق١-٣/ ١٨٣. ابو الفداء: المختصر: ٢/ ٩٣

(٥) ابن الاثير: الباهر: ١٩٢- ١٩٣

دور الملك العادل في انهاء التحالف بين قطب الدين محمد ونورالدين ارسلان سنة ٦٠٠ هـ

ابددت الوحشية التي حصلت بين قطب الدين محمد صاحب سنجار ، ونور الدين ارسلان صاحب الموصل، والتي طغت على علاقتهما قبل سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م ، واستمر تحسن العلاقة بينهما طوال المدة الواقعة مابين ٥٩٥ ـ ٦٠٠هـ / ١١٩٨ ـ ١٢٠٣م . (١)

تخوف الملك العادل من ان يؤدي استمرار تحسن العلاقة بين الموصل وسنجار تعطيل جهوده في اقامة دولة الوحدة التي كان يتطلع الى اقامتها عن طريق احياء دولة صلاح الدين ، لذلك كان لابد له من التصدي لهذه العلاقة وفصم عراها، فبدأت خطته في استمالة قطب الدين ، ونجح في ذلك ، اذ استطاع في سنة ٦٠٠هـ ـ ١٢٠٣م ان يقنعه بان تكون الخطبة له في بلاده (٢) ، فأثار هذا العمل غضب نورالدين ارسلان وعده معاديا له من جانب ابن عمه قطب الدين ، لذلك قرر نور الدين مهاجمة املاك قطب الدين ليصده عن الأستمرار في الخضوع للعادل ، فهاجم نصيبين وهي من املاك قطب الدين في شعبان سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م ، وتمكن من الأستيلاء على المدينة دون القلعة غير انه لم يقم فيها طويلا ، اذ راودته الإخبار بتعرض مظفرالدين كوكبري صاحب اربل لاعمال الموصل ونهب نينوى ، فاضطر نورالدين للانسحاب الى الموصل ، للوقوف بوجه كوكبري ، وكان الأخير قد انسحب من اعمال الموصل قبل وصول نورالدين اليها . (٣) .

اراد نورالدين ان يعوض فشله في نصيبين بالاستيلاء على تلعفر ، وهي من املاك قطب الدين، فحاصرها واخذها واقام عليها ١٧ يوماً (٤) فاستنجد قطب الدين صاحب سنجار بالملك الأشرف موسى بن العادل الذي كان ابوه قد أقامه على شمال الجزيرة ، فأسرع الى نجدته بتوجيه من العادل بجيش خرج به من حران والتحق به الأمراء والملوك المحليون بالجزيرة المتحالفون مع الأيوبيين ضد نورالدين صاحب الموصل ومنهم مظفر الدين كوكبري صاحب اربل وسنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر والملك الأوحد صاحب

---

(١) التكريتي : الايوبيون في شمال الشام: ١٤٧

(٢) ابن الاثير الكامل: ٩/ ٢٦٤. ابن واصل: مفرج الكروب: ٣/ ١٥٦

(٣) ابن الاثير، الكامل: ٩/ ٢٦٤. ابن الساعي ، ابو طالب علي ابن انجب: الجامع المختصر في عنوان التأريخ وعيون السير: ٩/ ١٢٥، المطبعة السريانية، بغداد.

(٤) ابن الاثير: الكامل: ٩/ ٢٦٤

ميافارقين وعساكر ديار بكر ونجده من الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، وسار الجميع لملاقاة نورالدين ارسلان الذي ماان سمع بهذا التحرك حتى ترك تلعفر الى كفر زمار القريبة من الموصل، ثم قرر مواجهة الأشرف بعد ان وصلته اخبار كاذبة عن قلة عسكره فالتقى به في مكان يقال له بوشرى بين الموصل ونصيبين ، ودارت بينهما معركة انـدحر فيها عسكر الموصل وتفرق جند نورالدين . (١)

بعدهذه المعركة تردد الرسل بين نورالدين والأشرف موسى من اجل الصلح ، وتـم الأتفاق بتخلي نورالدين عن تلعفر التي كان قد استولى عليها وتسليمها لقطب الدين فسلمت اليه ، ووقع الصلح في اواخر ذي الحجة سنة ٦٠١هـ / ١٢٠٤م . (٢)

مساهمة عساكر سنجار في الجهاد ضد الافرنج مع الملك العادل الايوبي :-

كان من نتائج تصدي الملك الأشرف موسى بن العادل وحلفائه لاطماع نورالدين في املاك قطب الدين محمد صاحب سنجار ان توطدت العلاقة بين قطب الدين والملك العادل الأيوبي ، لذلك ماان عزم العادل في التصدي لخطر الأفرنج الذين بدأوا يهددون مدينة حمص حتى استجاب قطب الدين لطلب العادل في اشراك عسكر سنجار مع عساكر الجزيرة في الجهاد ضد الأفرنج بالشام . (٣)

ففي شهر رمضان سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م . اكتملت عساكر الكامل بن العادل بعد ان انضمت اليها عساكر الجزيرة ومنها عسكر سنجار ، فتقدم العادل بها نحو حصن الأكراد الذي كان منهما ومن طرابلس يشن الأفرنج غاراتهم على حمص . وتمكن العادل من ان ينازلها ويأسر خمسمائة رجل ويستولي على اموال واسلحة كثيرة، ثم رحل عنها وتوجه نحو طرابلس فحاصرها مدة وضيق عليها ، واخذت عساكره تعبث وتخرب في قرى وبساتين وطرق طرابلس ، فاضطر صاحبها الى طلب الصلح على ان يبعث للعادل اموالا وهدايا ويطلق ٣٠٠ أسير من المسلمين ، فوافق العادل ، وتم الصلح ، وعاد الى دمشق ، وتفرقت العساكر راجعة الى بلادها ، ومنها عسكر سنجار . (٤) .

---

(١) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ٢٧٤-٢٧٥. ابن الساعي : الجامع المختصر: ٩/ ١٢٥، ابو الفداء: المختصر: ٣/ ١٠٥

(٢) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ٢٦٥. سبط الجوزي: مرآة الزمان: م٨ج٢/ ٥١٨

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب: ٣/ ١٧٢-١٧٣. المقريزي، أحمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك : ط ق١/ ١٦٦ تحقيق محمد مصطفى زيادة ، ط٢، القاهرة ١٩٥٦م

(٤) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ٢٩٦- ٢٩٧. عاشور : الحركة الصليبية: ٢/ ٩٤٨- ١٤٩

اتفاق نور الدين ارسلان والملك العادل على اقتسام سنجار سنة ٦٠٦ هـ :ـ

تحسنت العلاقة بين اتابكية الموصل وبين بني ايوب على اثر حصول المصاهرة بين نور الدين والملك العادل ، ففي سنة ٦٠٥هـ ـ ١٢٠٨م زوج العادل احد ابنائه من ابنة نورالدين (١)

شجعت هذه المصاهرة الطرفين في الأتفاق على تحقيق مكاسب على حساب الأمارات المجاورة ، وخاصة على حساب صاحبي سنجار وجزيرة ابن عمر ، فحدث ان كاتب نورالدين بناءً على مشورة وزرائه الملك العادل يحثه على اقتسام املاك قطب الدين محمد صاحب سنجار ومحمود سنجرشاه صاحب جزيرة ابن عمر ، على ان تكون للعادل املاك قطب الدين وتكون لنورالدين جزيرة ابن عمر ، فأجابه الملك العادل الى ذلك مستبشراً(٢)

وتعود سبب استجابة العادل لطلب نور الدين الى ادراك العادل « انه متى ملك هذه البلاد اخذ الموصل وغيرها» وفي سبيل دفع نورالدين في تنفيذ هذا الأتفاق ذكر العادل لنورالدين انه سيعطي هذه البلاد اذا ملكها لولده الذي هو زوج ابنة نورالدين ويكون مقامه في خدمته بالموصل . (٣)

خرج الملك العادل من دمشق الى الجزيرة بعساكره فقصد الخابور فأخذها فلما سمع نورالدين بوصوله خاف واستشار رجاله فيما يفعله ، فأما من اشار عليه بالاتفاق مع العادل على اقتسام سنجار وجزيرة ابن عمر فقد سكتوا ، واما الذين لم يعلموا من اصحابه فقد انكروا ذلك عليه وقالوا له بانك « أذيت نفسك وابن عمك وقويت عدوك ، وجعلته شعارك ، وقد فات الأمر وليس يجوز الا أن تقف معه على ماستقر بينكما ، لئلا يجعل ذلك حجة ويبتديء بك » (٤) .

ادرك نورالدين الخطأ الذي ارتكبه ، فعزم على نقض الأتفاق مع العادل واشار بالأستعداد وجمع الرجال وتحصيل الذخائر ومايحتاج اليه والعمل على انقاذ سنجار من الوقوع في يد العادل الذي كان قد حاصرها بعد نصيبين . (٥)

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ٣/ ١٩١
(٢) ابن الاثير : الكامل ٩/ ٣٠١
(٣) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة : ق١ج٣/ ١٨٦
(٤) ابن الاثير : الكامل : ٩/ ٣٠١
(٥) ابن الاثير : الكامل : ٣٠١/٩ ابن شداد الاعلاق الخطيرة ق١ج٣/١٨٧ ـ ١٨٨

اما موقف قطب‌الدين من هذا الأتفاق ، فيبدو ان الأمر قد خرج من يده فعزم على ان يكاتب العادل ويعرض عليه تسليم سنجار له مقابل ان يعوضه ببلد اخر بعد ان ادرك بعدم قدرته على مواجهة عسكر العادل ، غير انه لم يفعل ذلك بعد ان اقنعه احد امرائه المدعو احمد بن يرنقش بتمكنه من حفظ سنجار والذب عنها ،فما كان من قطب الدين إلا ان تقوى بالدفاع عن سنجار والأمتناع عن تسليمها للعادل خاصة بعد ان اخذت الأقوات تصل اليها من بعض المتعاطفين معه من الأمراء المشاركين مع عسكر العادل في حصار سنجار والذين كانوا يخالفون العادل في الأستيلاء على سنجار ومنهم اسدالدين شيركوه صاحب حمص ، كما ان قطب‌الدين ارسل ولده الى مظفر الدين كوكبري صاحب اربل يستشفع به الى الملك العادل ليبقيه على سنجار (١) .

استجاب مظفر الدين كوكبري لطلب قطب الدين وارسل للعادل يشفع لقطب الدين فلم يشفع له العادل ، فأثار هذا الرفض غضب مظفر الدين خاصة وان الأخير كان له اثر جميل عندالعادل حيث قام بخدمته والذب عن ملكه اكثر من مرة ، فما كان من مظفر الدين الا أن راسل نورالدين يعرض عليه المساعدة في التصدي لحصار العادل لسنجار فأجابه نورالدين الى ماطلب والتقت عساكرهما بظاهر الموصل ، وقبل ان يقوما باي جهد عسكري ضد العادل راسلا الملك الظاهر غازي صاحب حلب وغياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم واتفقا معهما على حربه وقصد بلاد العادل ان هو امتنع عن الرحيل عن سنجار (٢) . كما راسلا الخليفة العباسي الناصر لدين‌الله يحثانه في التدخل لدى العادل من اجل الصلح حقنا لدماء المسلمين وفك الحصار عن سنجار ، فوافق الخليفة وبعث استاذ الدار هبة الله بن المبارك بن الضحاك والأمير اق‌تاش رسولين الى الملك العادل ، فوصلا الى‌الموصل ليستمعا الى وجهة نظر نورالدين ومظفرالدين ثم سار الى الملك العادل فوصلاه وهو يحاصر سنجار وابلغاه رغبة الخليفة في عقد الصلح والأنسحاب عن سنجار ، لكنه امتنع في باديء الأمر ، ثم اجابهما الى الصلح بعد ان ادرك ان حصاره لسنجار لن يكون في صالحه بسبب قوة خصومه وظهور الفتور بين اصحابه عن القتال ومنهم اسد الدين شيركوه صاحب حمص (٣) .

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب : ٣/ ١٩١، ١٩٣–١٩٤. الحنبلي ، أحمد بن أبراهيم: شفاء القلوب في مناقب بني ايوب: ٢١٩–٢٢٠، تحقيق ناظم رشيد ،دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٧م .

(٢) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ٣٠١–٣٠٢. ابن واصل: مفرج الكروب: ٣/ ١٩٤–١٩٥ ابن العديم: زبدة الحلب٣/ ١٦٠–١٦١

(٣) اين واصل: مفرج الكروب: ٣/ ١٩٧. ابن شداد: الا علاق الخطيرة: ق١ح٣/ ١٩٠–١٩١

تضمنت شروط الصلح التي وافق عليها الجميع بضم مااستولى عليه العادل وهي الخابور ونصيبين الى ملكه على ان يترك سنجار لصاحبها قطب الدين محمد . ثم رحل العادل عن سنجار وعاد مظفر الدين الى اربل وكان ذلك في سنة ٦٠٦هـ ـ ١٢٠٩(١) وبذلك خسر قطب الدين الخابور ونصيبين التي كانت من اعمال سنجار بسبب ماارتكبه من خطأ في عدم تقدير اطماع العادل في بلاده

نهاية حكم اسرة زنكي في سنجار :ـ

تحسنت علاقة قطب الدين محمد مع اتابكية الموصل والأيوبيين بعد رفع العادل حصاره عن سنجار ٦٠٦هـ / ١٢٠٩ ولم نعثر على مايشير الى حدوث اي توتر بين هذه الأطراف حتى سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م اذ في ثامن صفر من هذه السنة توفي قطب الدين محمد وتولى ابنه عمادالدين شاهنشاه حكم سنجار وبدأت في بداية عهده تدب المنازعات بينه وبين اخوته على السلطة . انتهت بمقتل عمادالدين شاهنشاه ، الذي لم يدم حكمه سوى شهور على يد اخيه عمر بن قطب الدين محمد (٢) اثناء زيارة عمادالدين تلعفر التي كانت تابعة له (٣) .

استهل عمر بن قطب الدين محمد حكمه في التدخل في شؤون الأيوبيين والتعرض لاملاك صاحب الموصل ، اذ حدث انتمرد على الملك الاشرف موسى بن العادل احد كبار أمرائه المدعو احمد بن علي بن المشطوب ، فما كان من عمر بن قطب الدين صاحب سنجار الا أن احتضنه وامده بالرجال ، فقام ابن المشطوب بالتعرض لاعمال الموصل ونهب منها عدة قرى وعاد الى سنجار ، ثم حاول ثانية ان يكرر العملية بعد ان تجهز لها واتخذ من تلعفر كقاعدة لعملياته بعد ان وصل اليها ، فلم يسمع بدرالدين لؤلؤ ـ الذي كان مدبر أمر اتابك الموصل ، والذي كانت تربطه علاقة تحالف مع الملك الأشرف موسى ـ

---

(١) ابن الاثير : الكامل : ٩/ ٣٠٢. الذهبي ، الحافظ شمس الدين محمد : العبر في خبر من غبر : ٥/ ١٥ تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٤م .

(٢) ورد اسم عمر بن قطب الدين تحت تسميات مختلفة بعض الشيء فجاء عند ابن الاثير : الكامل : ٩/ ٣٢٨ تحت تسمية عمر بن قطب الدين محمد وهذا مأأخذنابه لمعاصرة ابن الاثير له وورد عند ابن واصل : مفرج الكروب : ٤/ ٧٣ تحت اسم محمود فروخشاه بن قطب الدين ،وجاء في السلوك : حـ١ ق١/ ٢٠٤ تحت تسمية الامجد عمر

(٣) ابن الاثير : الكامل٩/ ٣٢٨. الغساني : العسجد المسبوك : ٣٦٦

مافعله ابن المشطوب بتشجيع من صاحب سنجار ، سير اليه عسكراً ، فقاتلوه فمضى ابن المشطوب منهزما الى تلعفر واحتمى بها فحاصروه ثم لحق بهم بدر الدين لؤلؤ ليشدد الحصار عليه ، وتمكن بدرالدين في شهر ربيع الأول سنة ٦١٧هـ — ١٢٢٠م من دخولها بعد ان استسلم ابن مشطوب له ، فقبض عليه وحبسه ثم سلمه لحليفه الملك الأشرف موسى (١)

وبذلك يكون بدرالدين لؤلؤ قد ضم تلعفر لملكه بعد ان كانت تابعة لسنجار ، ثم حدث ان طلب الملك الأشرف موسى من بدر الدين لؤلؤ ان يمنحه تلعفر لميله لها ، فوافق بدر الدين وسلمها للاشرف (٢) .

يبدو ان عمر بن قطب الدين صاحب سنجار تخوف من مهاجمة الملك الأشرف موسى سنجار بسبب ما فعله عمر بالتزامه لابن المشطوب ، لذلك ماان سمع صاحب سنجار بوصول الأشرف موسى مع عسكره الى نصيبين القريبة من سنجار متوجهاً الى الموصل لتقديم المساعدة لحليفه بدرالدين لؤلؤ للوقوف بوجه اطماع مظفر الدين كوكبري صاحب اربل في املاك صاحب الموصل حتى ارسل عمر بن قطب الدين من طرفه رسلا ال الملك الأشرف يبذلون له تسليم سنجار اليه على ان يعوض صاحبها مدينة الرقة وذلك لخوفه من الملك الأشرف لانه لم يسلم اليه ابن المشطوب عندما كان عنده ، الى جانب تخوفه من ان يدبر اصحاب اخيه المقتول مكيدة لقتله انتقاما لاخيه فضلا عن سوء سيرته مع اهل بيته ، لهذا كله فقد الثقة بنفسه ، ففضل التنازل عن سنجار مقابل الرقة ضمانا لحياته ولاصحابه (٣) .

استجاب الملك الاشرف موسى لهذا الطلب ، فتسلم سنجار في مستهل جمادي الأولى سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م ، وفارقها صاحبها عمر بن قطب الدين واخوته بأهليهم واموالهم الى مدينة الرقة ، فلم يستقر مقامه فيها طويلا ، اذ اخذها منه الأشرف ، ثم مالبث ان توفي سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م (٤)

وكان هذا اخر ملوك بيت اتابكة زنكي لسنجار .

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب : ٤/ ٧٢

(٢) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ٣٤٥. ابن واصل: مفرج الكروب: ٤/ ٧٢-٧٣

(٣) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ٣٢٣- ٣٢٤، ٣٤٥. ابن شداد : الاعلاق الخطيرة: ق١ج٣ / ١٩٧-١٩٨

(٤) ابن الاثير : الكامل: ٩/ ٣٢٤. ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: ق١ج٣/ ١٩٨ ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق : تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ق٤ج٤/ ٦٩٣-٦٩٤، تحقيق مصطفى جواد، دمشق، ١٩٦٧م .

الخلاصة :ـ

يتبين لنا من هذه الدراسة أن سنجار مدينة قديمة تعود بجذورها التاريخية الى عصور ماقبل الأسلام ، وانها خضعت لاحتلال الروم والفرس ، وان عياض بن غنم الذي قاد حركة الفتوحات الأسلامية في منطقة الجزيرة الكفراتية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) حررها من السيطرة الفارسية ، واسكن فيها قوم من العرب والحق تبعيتها الأدارية لاقليم ديار ربيعة ، كما الحقت فيهما بعد الى الموصل .

بقيت سنجار تابعة للموصل حتى النصف الثاني من القرن السادس الهجري عندما تمكن نو رالدين محمود صاحب حلب من انتزاعها من صاحب الموصل، واعطاها لابن اخيه عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م وتمكن الإخير من تأسيس اتابكية فيها وكانت لجهود عماد الدين زنكي السياسية والعسكرية الأثر الكبير في الحفاظ على استقلالية اتابكيته من اطماع القوى المجاورة له ، خاصة اتابكية الموصل والأيوبيون ـ الذين كانوا يتطلعون لضم سنجار اليهم بسبب موقعها الجغرافي وقيمتها الأقتصادية والبشرية ـ فكان عمادالدين يلجأ الى سياسة التحالفات مع احدى هذه القوى ضد الأخرى ليحمي بلده ، وكثيراً ماكانت هذه السياسة تنجح في ازالة الخطر عن اتابكيته اوتحقق مكاسب ماديه له .

ولم يتوقف دوره عند الحفاظ على استقلالية اتابكيته ، بل ساهم في تظافر الجهود لمناهضة قوى الأفرنج التي اغتصبت الكثير من مناطق بلاد الشام ، وتجلت تلك المساهمة في اوضح معانيها عندما شارك بعساكر سنجار في قتال الأفرنج جنبا الى جنب مع عساكر الشام ومصر تحت راية صلاح الدين ، واثنى صلاح الدين على الدور الذي لعبه في معارك حصار عكا .

وسار على سياسته ابنه قطب الدين محمد الذي كان له دور فاعل في قتال الأفرنج واعقب قطب الدين على الحكم ابنه عمادالدين شاهنشاه الذي دخل في حالة صراع على السلطة مع اخيه عمر انتهى بمقتل عمادالدين . ولم يتمكن عمر ان يحتفظ بحكمه لسنجار طويلا اذ تخوف من انتقام اصحاب اخيه منه ، فضلا عن توتر علاقته مع بدر الدين لؤلؤ ، والأيوبيين بسبب كثرة تدخلاته في شؤونهم فتخوف من عاقبة الأمر ، لذلك فضل التنازل عن سنجار مقابل الرقة بعد ان وافق الأشرف موسى على ذلك . وبهذا التنازل انتهى حكم آل زنكي لسنجار بعد ان حكموها احدى وخمسون عاما من ٥٦٦ ـ ٦١٧هـ / ١١٧٠ ـ ١٢٢٠م .

المصادر والمراجع :ـ

١ ـ ابن الإثير ، ابوالحسن علي بن ابوالكرم محمد : الكامل في التاريخ ، دار الفكر بيروت ، ١٩٧٨ م .

ـ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، تحقيق عبدالقادر احمد طليحات ، دار الكتب ، القاهرة

٢ ـ البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر : فتوح البلدان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٣ ـ البنداري ، الفتح بن علي: تاريخ دولة السلجوق ، ط٢ ، دار الأفاق الجديدة بيروت ، ١٩٧٨ .

٤ ـ ابن تغري بردى ، جمال‌الدين ابوالمحاسن يوسف : النجوم الزاهرة في ملوك مصر ، والقاهرة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

٥ ـ التكريتي ، محمود ياسين : الأيوبيون ، في شمال الشام والجزيرة ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ م .

٦ ـ الجميلي ، رشيد دولة الأتابكة في الموصل بعد عمادالدين زنكي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٥ م .

٧ ـ حبشي ، حسن : نورالدين والصليبيون ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

٨ ـ الحنبلي ، احمد بن ابراهيم : شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، تحقيق ناظم رشيد ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٧ م

٩ ـ الذهبي ، الحافظ شمس الدين محمد بن عثمان : العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين منجد ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٤ م .

١٠ ـ زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، اخرجه محمود زكي واخرون دار الرائد العربي ، بيروت .

١١ ـ ابن الساعي ، ابوطالب علي بن انجب تاج الدين : الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير ، عني بنشره مصطفى جواد ، المطبعة السريانية ، الكاثوليكية ، بغداد .

١٢ ـ سبط ابن الجوزي ، شمس الدين ابو المظفر يوسف : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ط١ ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد، الدكن ، ١٩٥١ م .

١٣ — ابو ، شامة شهاب الدين محمد عبد ابوالرحمن : الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، دار الجليل ، بيروت .
١٤ — ابن شاهنشاه ، محمد بن تقي الدين : مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة .
١٥ — ابن شداد ، بهاء الدين : سيرة صلاح الدين ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٢م .
١٦ — ابن شداد ، عزالدين محمد بن علي : الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، تحقيق يحيى عباره ، دمشق ، ١٩٧٨م .
١٧ — عاشور ، سعيد عبدالفتاح الحركة الصليبية ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
١٨ — ابن العبري ، غريغور يوس الملطي : تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، ١٩٥٨ م
١٩ — ابن العديم ، كمال الدين ابوالقاسم عمر ؛ زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥٤م
٢٠ — الغساني ، ابوالعباس اسماعيل بن العباس : العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق شاكر محمود ، دار البيان ، بغداد ، ١٩٧٥م
٢١ — ابوالفداء ، عمادالدين اسماعيل : المختصر في اخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية .
٢٢ — ابن الفرات ، ناصرالدين محمد بن عبدالرحيم : تاريخ ابن الفرات ، دار الطباعة الحديثة ، البصرة ١٩٦٩م .
٢٣ — ابن الفوطي ، كمال الدين ابوالفضل عبدالرزاق : تلخيص مجمع الأداب في معجم الألقاب ، تحقيق مصطفى جواد ، دمشق ، ١٩٦٧ ، .
٢٤ — الكتبي ، محمد بن شاكر : عيون التواريخ ، تحقيق فيصل السامر واخرون ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٧م ،

٢٥ — ابن كثير ، عمادالدين ابوالفداء اسماعيل : البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة السعادة بمصر .
٢٦ — المقريزي احمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى ، زيادة ، ط٢ القاهرة ، ١٩٥٦م .
٢٧ — نوري ، دريد عبدالقادر : سياسة صلاح‌الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة ، مطبعة الأرشاد ، بغداد ، ١٩٧٦م .
٢٨ — ابن واصل ، جمال‌الدين محمد بن سالم : مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مصر ، ١٩٥٣ م .
٢٩ — ابن الوردي ، زين الدين عمر : تاريخ ابن الوردي ، النجف ، ١٩٦٩ م.